الفصل الرابع بعد المئة

الاسواق

والسوق المحل الذي يتسوق منه . وهي إما ثابتة مع أيام السنة ، يبيع فيها الباعة ويقصدها المشترون للشراء ، وإما موسمية ، تعقد في مواسم معينة ، فإذا انتهى الموسم رفعت . ويقال للسوق القسيمة كذلك[1] .

وتكون الأسواق الثابتة في مواضع السكن ، كالقرى والمدن والمستوطنات، أي بين (الحضر) ، حيث القرار والاستقرار والإقامة ، فيجلس الناس في السوق يبيعون ما عندهم من سلع ، يبسطونها على الأرض ، أو على (الدكة) المبنية للجلوس عليها ، ولعرض البضاعة فوقها ، أو على مائدة أو ما شابه ذلك، وهم من صغار الباعة ممن لا تكون عندهم سلع كثيرة . أما الباعة الكبار فيجلسون في (حوانيت) ، وهي (الدكاكين) ، يبيعون فيها سلعهم التي توضع فيها ، ولها أبواب ، فإذا انتهوا من البيع ، أغلقوها ليعودوا اليها في اليوم الثاني . ويقال للحانوت (المبيعة) كذلك .

ولم يكن كل الباعة يملكون حوانيتهم ، أو ما يعرضونه من سلع للبيع . فبينهم

---

١ « والقسيمة ، وهي السوق أيضا » ، القاموس (١٦٥/٤) ، والقسيمة كسفينة ، وبه يفسر قول عنترة :

وكأن فـأرة تاجـر بقسيمـة سبقت عوارضهـا اليك من الفم

وعلى قول ابن الاعرابي أصله القسمة فأشبع الشاعر ، ضرورة . وهي السوق » ، تاج العروس (٢٧/٩) ، (قسم) .

من كان يشتغل لغيره ، كأن يكون مملوكاً ، أقامه سيده في (مبيعته) ، ليبيع عنه ، وليأتي بثمن ما باعه اليه ، ومنهم من كان أجيراً اتفق مع صاحب الحانوت ومالكه على أن يشتغل عنده في مقابل أجر يقدمه اليه ، فهو لا ينال من الدكان إلا أجر عمله .

والبيع في العربية من الأضداد ، يقال : باع فلان اذا اشترى ، وباع من غيره . والبائع هو كل من البائع والمشتري ، والبياعة : السلعة ، والتبايع المبايعة ، والبيعة الصفقة على ايجاب البيع وعلى المبايعة ، والمبيعة الدكان ، أي موضع البيع[1] .

وقد تخصص بعض الجاهليين في عمله ، فمنهم من كان حدّاداً ، حرفته معالجة الحديد ، ومنهم من كان نجاراً ، ومنهم من كان بزّازاً ، ومنهم من كان عطّاراً ، ومنهم من كان (جزاراً) حرفته (الجزارة) . وقد يجتمع صنف واحد من الباعة في مكان واحد ، يكوّنون سوقاً خاصة بهم ، فتسمى سوقهم باسم ذلك الصنف .

وهناك مصطلحات تطلق على السوق من حيث الرواج والكساد . فإذا نشطت السوق وراج عمل أصحابها قيل نفقت السوق[2] ، واذا كسدت قيل انحمقت[3] .

و (الصفقة) البيعة . يقال صفقة رابحة وصفقة خاسرة ، أي بيعة . وإنما قيل للبيعة صفقة ، لأنهم إذا تبايعوا تصافقوا بالأيدي ، ويقال لمن لا يشتري شيئاً إلا ربح فيه : إنه لمبارك الصفقة . والصفقة تكون للبائع والمشتري . والصفق التبايع . وفي حديث (ابن مسعود) صفقتان في صفقة ربا ، أراد بيعتان في بيعة ، وهو على وجهين ، أحدهما أن يقول البائع للمشتري بعتك عبدي هذا بمائة درهم على أن تشتري مني هذا الثوب بعشرة دراهم ، والوجه الثاني أن يقول بعتك هذا الثوب بعشرين درهماً على أن تبيعني سلعة بعينها بكذا وكذا درهماً[4] .
و (الصفاق) الكثير الأسفار والتصرف في التجارات[5] .

---

١ تاج العروس (٥/٢٨٤ وما بعدها) ، (بيع) .
٢ القاموس (٣/٢٨٦) ، تاج العروس (٧/٧٩) .
٣ القاموس (٣/٢٢٤) ، تاج العروس (٦/٣٢٤) .
٤ تاج العروس (٦/٤٠٩) ، (صفق) .
٥ تاج العروس (٦/٤٠٩) ، (صفق) .

وقد يشهد الأسواق للتجارة قوم لا رأس مال عندهم ولا نقد لديهم ، فإذا اشترى التجار شيئاً دخلوا معهم فيه . ويقال لهؤلاء : (الصعافقة)[1] .

وقد ترد التجارة من الخارج لبيعها في السوق . ويقال للذين يجلبون الإبل والغنم للبيع الأجلاب والجلب . وذكر ان الجلب ما يجلب من إبل وغنم وخيل ومتاع وسبي . وفي المثل : النفاض يقطر الجلب ، أي اذا نفض القوم ، بمعنى نفدت أزوادهم قطروا إبلهم للبيع ، كالجليبة و (الجلوبة)[2] . ويقال لموضع بيع النعم : (المربد)[3] .

وتمتار القبائل ميرتها من أسواق الحضر ، والميرة الطعام يمتاره الانسان، وجلب الطعام . فكان رجالها يقصدون الأسواق في المواسم وعند الحاجة لشراء ما فيها من طعام يحتاجون اليه ، ومن حاجيات أخرى يحتاجون اليها،ثم يعودون الى منازلهم . و (الميار) جالب الميرة ، ويقال للرفقة التي تنهض من البادية الى القرى لتمتار (ميارة)[4] .

و (السواقط) الذين يردون اليمامة لامتيار التمر ، و (السقاط) ما يحملونه من التمر[5] .

ويقال لكل سوق يجلب اليها غير ما يؤكل من حر الطيب والمتاع غير الميرة (لطيمة) . والميرة لما يؤكل . وذكر أن اللطيمة سوق فيها أوعية من العطر ونحوه ، وربما قيل لسوق العطّارين لطيمة[6] .

ويقال للإبل التي تخرج ليجاء عليها بالطعام (ركاباً) ، حين تخرج وبعدما تجيء . وتسمى عيراً على هاتين المنزلتين . والتي يسافر عليها الى مكة أيضاً ركاب تحمل عليها المحامل والتي يكثرون ويحملون عليها متاع التجار وطعامهم كلها ركاب ، ولا تسمى عيراً ، وإن كان عليها طعام إذا كانت مؤاجرة بكرى . وليس العير التي تأتي أهلها بالطعام ولكنها ركاب . ويقال زيت ركابي ، لأنه

---

١ تاج العروس (٦/٤٠٧) ، (الصعفوق) .
٢ تاج العروس (١/١٨٤) ، (جلب) .
٣ تاج العروس (٢/٣٤٩) ، (ربد) .
٤ تاج العروس (٣/٥٥٢) ، (ماير) .
٥ تاج العروس (٥/١٥٦) ، (سقط) .
٦ تاج العروس (٩/٦٠) ، (لطم) .

يحمل من الشأم على ظهور الإبل [1] .

ويباع في الأسواق كل شيء : سلع مختلفة الأصناف والألوان ومنهـا البشر والحيوان . وقد ذكر العبيد والإماء مع الحيوانات في بعض الأوامر والأنظمة التي أصدرها الملوك في تنظيم البيع والشراء ، وفي كيفية جباية حصة الحكومة من البيع والشراء ، كما في هذه الجملة المقتبسة من أمر ملكي أصدره الملك (شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان) في تنظيم التجارة والجبايـة : « بن انسم وابلم وثورم وبعرم وشامت بمنمو ذ يشامتم عبدم فعو امتم وبعرم)[2] . ومعناها : « من انس (بشر) وإبل وثيران وبعر تشتري . ومن يشتري عبداً أو أمتـاً أو بعراً » . فذكر (انسم) أي (انس) وذكر بعدهم الإبل والثيران والبعـر وغير ذلك . وكيف يميز بين الانسان والحيوان ، والانسان في ذلك الوقت سلعة ، مثل سائر السلع تباع وتشترى ، ليكون عبداً وخادماً ومملوكاً لمشتريه !

والبضاعة ، القطعة من مال يتجر فيه . وأبضعه البضاعة أعطاه اياها [3] . وهي من الألفاظ التجارية التي لا زالت رائجة جارية على كل لسان في الأسواق .

ويقال لثمن الشيء : (القيمة) ، وهو ثمن الشيء بالتقويم . وقومت السلعة ثمّنتها . ويقول أهل مكة : (استقمتها) ، أي ثمّنتهـا ، ويقولون استقمت المتاع ، أي قوّمته[4] .

و(العينة) خيار المال . وعين التاجر ، إذا باع من رجل سلعته بثمن معلوم الى أجل معلوم ثم اشتراها منه بأقل من ذلك الثمن الذي باعها به . وقـد كره العينة أكثر الفقهاء وروى فيها النهي[5] .

وقد كانت بالقرى والمدن أسواق محلية ، فكان بمكة والمدينة أسواق بها مبيعات. ويظهر أن (ملأ) القرى كانوا يشرفون عليهـا ويأخذون ضرائب البيع والشراء منها . وقـد ورد أن (عمر) استعمل على سوق المدينة (السائب بن يزيـد) وسليمان بن أبـي خيثمة وعبدالله بن عتبة بن مسعود[6] . ولم تشر الرواية الى الأعمال

---

١ تاج العروس (١/٢٧٧) ، (ركب) .
٢ REP. EPIGR. 3910.
٣ تاج العروس (٥/٢٧٩) ، (بضع) .
٤ تاج العروس (٩/٣٦) ، (قوم) .
٥ تاج العروس (٩/٢٩١) ، (عين) .
٦ الاصابة (٢/١٢) ، (رقم ٣٠٧٧) .

التي أناطها (عمر) بهؤلاء . ولكني لا استبعد احتمال كون هذا التعيين استمرار لعادة قديمة كانت متبعة بيثرب قبل الإسلام ، لمراقبة السوق ، ولمنع التلاعب به وأخذ الحقوق من التعامل بالسوق .

أسواق العرب الموسمية :

وللعرب أسواق يقيمونها شهور السنة وينتقلون من بعضها الى بعض ويحضرها سائر العرب بما عندهم من حاجة الى بيع أو شراء[1] . وتقع هذه الأسواق في مواضع مختلفة متناثرة من جزيرة العرب . فهي إذن أسواق عربية . وهناك أسواق أخرى قصدها العرب للاتجار في مواسم وفي أوقات مختلفة ، كانت خارج جزيرة العرب ، في العراق أو في بلاد الشام أو في الحبشة ، وقد كان العرب يقصدونها أيضاً للاتجار والامتيار .

وقد ذكر (اليعقوبي) ، ان أسواق العرب كانت عشرة أسواق يجتمعون بها في تجاراتهم ويجتمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دمائهم وأموالهم[2] . ويظهر من قول (اليعقوبي) هذا من انهم كانوا يأمنون فيها على دمائهم وأموالهم أثناء التقائهم بها . ان من دين أهل الجاهلية ، اعتبار هذه الأسواق أماكن حرماً ، يأمن الانسان فيها دمه وماله ما داموا في ضيافة السوق وحرمته . ولهذا كان لكل سوق (قومة) يقومون بأمر السوق وبالمحافظة على الأرواح والأموال فيه . فقد « كان في العرب قوم يستحلون المظالم ، إذ حضروا هذه الأسواق ، فسمّوا (المحلّون)[3] . وهؤلاء (المحلون) ، هم مثل (المحلون) الذين كانوا لا يقيمون وزناً لحرمة (الحرم) و (الحرمات) ، مثل حرم مكة ، ولا يقيمون للأشهر الحرم قدراً ، فكانوا يعتدون فيها وفي كل شهر ، ولذلك قيل لهم (المحلون) .

---

١ بلوغ الارب (٢٦٤/١) ، المرزوقي ، الازمنة والامكنة (١٦١/٢ وما بعدها) ، المفضليات (٢٠٨) ، البكري ، معجم (٩٥٩/٣) ، النقائض (١٣٩/١) ، العقد الفريد (٢٠٨/٥) ، البيان والتبيين (١٠٠/٣) ، الاغاني (٢٣/٥) ، (٨٢،٦/١١) ، (١٦/١٢) ، (٢٤٠/١٥) ، أسد الغابة (٢٢٤/٢) ، الاغاني (١٤٥/١٤) .

٢ اليعقوبي (٢٣٩/١) ، (النجف ١٩٦٤ م) .

٣ اليعقوبي (٢٤٠/١) ، (النجف ١٩٦٤ م) .

ومن المحلّين قبائل من أسد وطيء وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة[1] .

ولحماية الأسواق والمجتمع من (المحلّين) ، الذين أباحوا لأنفسهم استحلال المظالم ، ظهر قوم من أهل المروءة والمعروف ، تواصوا فيما بينهم على ردّ السفيه عن سفهه والغاوي عن غيّه،ونصبوا أنفسهم حماة على الأسواق ، يحملون سلاحهم فيها في الأشهر الحلّ وفي الأشهر الحرم للذود عن الحرمات . وقد عرف شمل هؤلاء بـ (الذادة المحرمون) . وقد تحدث عنهم (اليعقوبي) ، فقال : « وكان في العرب قوم يستحلّون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق ، فسمّوا المحلّون ، وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر ، فيسمون : الذادة المحرمون . وأما المحلّون ، فكانوا قبائل من أسد وطيء وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة وقوم من بني عامر ابن صعصعة . وأما الذادة المحرمون ، فكانوا من بني عمرو بن تميم ، وبني حنظلة بن زيد مناة ، وقوم من هذيل ، وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة . فكانوا هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس ، وكان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم في الأشهر الحرم »[2] .

والذود في اللغة السوق والطرد والدفع . فالذادة هم المدافعون الذابون عن المظلومين ، والواقفين أمام الظالمين . وقد ورد (ذادة) بمعنى يذودون عن الحرم[3] .

ولم تكن هذه الأسواق محصورة في موضع معين ، انما كانت تعقد في مواضع مختلفة متعددة من جزيرة العرب . وقد خصصت في الغالب بامتيار الأعراب وبشراء ما عندهم من سلع فائضة عليهم . ولا يستبعد بالطبع ورود التجار الأجانب اليها من غير العرب ؛ فقد كان الروم مثلاً يتوغلون الى مسافات بعيدة في هذه الأرضين الشاسعة للبيع والشراء .

وبحكم ورود أناس الى هذه الأسواق لا يسهل الاجتماع والاتصال بهم في الأوقات الأخرى ، فقد قصدها أناس من أماكن بعيدة بحثاً عن طلب أو ترويجاً لرأي ،

---

١ اليعقوبي (١/٢٤٠) ، العقد الفريد (٢/٢٠٦) ، البيان والتبيين (٣/١٠٠) .
٢ اليعقوبي (١/٢٤٠) ، (النجف ١٩٦٤ م) .
٣ تاج العروس (٢/٣٤٧) ، (ذود) .

فقصدها المبشرون للاتصال بالقبائل وللتأثير في بعض أفرادها لادخالهم في دينهم . وفي كتب السير : ان الرسول نفسه كان يخرج في المواسم ، لعرض نفسه على القبائل ، ولهدايتهم الى الاسلام .

ومن أشهر أسواق العرب عند ظهور الإسلام : (سوق دومة الجندل) ، و (سوق هجر) ، و (سوق عمان) ، و (سوق المشقر) ، و (سوق عدن أبين) ، و (سوق صنعاء) ، و (سوق حضرموت) ، و (سوق ذي المجاز) ، و (سوق مجنة) ، و (سوق عكاظ) ، و (سوق حباشة) ، و (سوق صحار) ، و (سوق بدر)[1] ، و (سوق بني قينقاع) ، و (سوق الشحر) ، و (سوق عثر) ، وأسواق محلية أخرى تأتيها القبائل والعشائر للامتيار. وقد ذكر بعض أهل الأخبار أن أسواق العرب الكبيرة كانت في الجاهلية ثلاث عشرة سوقاً ، وأولها قياماً دومة الجندل[2] .

وذكر (الهمداني) ، أن من أسواق العرب القديمة : عدن ، ومكة ، والجند ، ونجران ، وذو المجاز ، وعكاظ ، وبدر ، ومجنة ، ومنى ، وحجر اليمامة ، وهجر البحرين[3] . وسوق (هجل) من الخارف ببلد حاشد[4] . وهناك أسواق أخرى عديدة وردت أسماؤها عرضاً في روايات أهل الأخبار .

أما (دومة الجندل) ، فكانوا ينزلونها أول يوم من شهر ربيع الأول ، يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء والتبادل . وكان أكيدر صاحب دومة الجندل يرعى الناس ويقوم بأمرهم أول يوم ، وتدوم سوقهم الى نصف الشهر . وكان (أكيدر) يعشر الناس ، . وربما يتولاها بنو كلب الذين يأتونهم متأخرين ، فيتولونها ، وتدوم عندئذ الى آخر الشهر ، ويتولون هم حينئذ تعشير الناس[5] . ويعرف البيع فيها بـ (بيع الحصاة) ، وهو نوع من أنواع المقامرة أبطله

---

١ الطبري (٢/٢٧٦) ، صبح الاعشى (١/٤١٠ وما بعدها) .
٢ المرزوقي ، الازمنة والامكنة (٢/١٦١) .
٣ الصفة (١٧٩ وما بعدها) .
٤ الصفة (١١٣) .
٥ البلدان (٤/١٠٦ وما بعدها) ، (٢/٦٢٨ وما بعدها) ، « طبعة طهران » « سنة ١٩٦٥ » ، اليعقوبي (١/٢٢٦) « طبعة النجف » ، ابن خلدون (٢ ، القسم الاول ص ٧٧٣) « بيروت ١٩٥٦ م » .

الاسلام[1] . وكانت تقصدها قبائل الشأم والحجاز والأقسام الشمالية والغربية من أعالي نجد ، وتقيم بالقرب منها كلب وجديلة طيء .

وكان الذي يشرف على هذه السوق سادات العرب من كلب أو من غسان ، يتنافسون عليها ويتزايدون ، فأي الحيين فاز ، خضع ودان له الآخـــر . وكان مكس هذه السوق لمن يتولى الاشراف عليها . وهم جميعاً يأخذون الاذن بالإشراف على السوق من الملك الذي يحكم الموضع في ذلك الوقت[2] . وكان الإشراف عـــلى هذه السوق عند ظهور الاسلام بين (الأكيدر) وبين (قنافة الكلبي) الذي كان ينافسه على الملك[3] .

وذكر (ابن حبيب) انه « كان لكلب فيهـــا قُنّ كثير في بيوت شعر ، فكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء ويأخذون كسب أولئك البغايا ، ولما كان الاسلام حرم هذه العادة بالآية : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا »[4] .

ودومة الجندل في غائط من الأرض خمسة فراسخ ، ومن مغربـــه عين تثج فتسقي ما به من النخل والزرع ، ودومة ضاحية بين غائطها واسم حصنها ماردُ[5] . وهو حصن قديم ، ورد ذكره في الشعر الجاهلي وفي كتب الأدب . وقد اكتسب شهرة كبيرة بين الجاهليين حتى ضربوا به وبـ (الأبلق) حصن السموأل المثل في العزّ والمنعة ، فقالوا : « تمرد مارد وعز الأبلق » ، قالوا : قصدتهما الزباء فعجزت عن قتالها ، فقالت : « تمرد مارد وعزّ الأبلق » ، وذهب مثلاً لكل عزيز ممتنع[6] . ويظهر أن حصن (مارد) كان من الحصون الحصينة القديمة التي

---

١ بلوغ الارب (١/٢٦٤ وما بعدها) ، المسعودي ، التنبيه (٢١٤) ، الطبري (٢/ ٥٧٨) « مطبعة الاستقامة » ، تأريخ الخميس (١/٢٠ وما بعدها) ، فتوح البلدان (١/٦٨ وما بعدها) . جمهرة أنساب العرب (٤٠٣) ، فتوح البلدان (٢٢٣) « دار النشر للجامعيين . بيروت ١٩٥٧ » .

٢ البلدان (٤/١٠٦) ، الازمنة والامكنة ، للمرزوقي (٢/١٦١ وما بعدها) ، المحبر (٢٦٤) ، البكري (٢/٥٦٤ وما بعدها) ، مراصد الاطلاع (٢/٥٤٢ وما بعدها) ، التأريخ الكبير (١/٨٩ وما بعدها) ، المسالك والممالك (١١٥) الكامل (٢/١٩٢) ،

٣ الازمنة والامكنة (٢/١٦١) .

٤ النور ، الرقم ٢٤ ، الآية ٣٣ ، المحبر (٢٦٤) ، الازمنة والامكنة (٢/١٦١ ومـــا بعدها) ، البلدان (٤/١٠٦) .

٥ تاج العروس (٨/٢٩٧) ، (دوم) .

٦ تاج العروس (٢/٥٠٠) ، (مرد) .

بنيت بـ (الجندل) ، أي الحجر[1] .

ولم تكن دومة الجندل سوقاً يقصدها التجار في موسم واحد معين ، بل كانت مفرقاً مهماً من مفارق الطرق ، وموضعاً يقصده أصحاب القوافـــل الذاهبون من جزيرة العرب الى العراق والى بلاد الشأم ، وبالعكس ، لوجود الماء العذب بها، وما يحتاج المسافر اليه من زاد وماء . وهي اليوم (الجوف) في المملكة العربية السعودية .

ويقصد سوق المشقر الأعراب الساكنون في العربية الشرقية والأعراب القريبون الى هذا الموضع ، ويرد الى هذه السوق تجار فارس ببياعاتهم يقطعون البحـر ، فيتاجرون مع من يقصد هذه السوق من القبائل والحضر . وكانت بنو تميم وعبد القيس جيرانها . أما المشرف عليها فرؤساء تميم من بني عبدالله بن زيـــد رهط المنذر بن ساوى ، وكانوا يتلقبون بألقاب الملك . ويسيرون في معاملتهم في هذه السوق سيرة الملوك بدومة الجندل ، ويأخذون العشر . وكان من يؤمها من التجار يتخفرون بقريش ، لأنها لا تؤتي إلا في بلاد مضر . وكان بيعهم فيها الملامسة والهمهمة . وتقوم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة الى آخر الشهر[2] .

وقد قصد هذه السوق أحياء من العرب من مختلف أنحاء جزيرة العرب ، كما وفدت اليها اللطائم . وطالما اعجبت أرض هجر ، وموضع المشقر منها ، بعض هؤلاء الأعراب فيبقون فيها ولا يرتحلون عنها ، فمن هناك صارت بهجر طوائف من كل حي من العرب وغيرهم[3] .

ويحمي المشقر حصن قديم قويم ، يقال ورثه (امرؤ القيس) ، وقـد أشير اليه في الشعر . قال عنه (المخبل) :

---

١ تاج العروس (٧/٢٦٦) ، (الجندل) .

٢ المحبر (ص ٢٦٥) ، اليعقوبي (١/٢٢٦) ، البكري ، معجم (٤/١١٩٣) ، البلدان (٥/١٣٤) ، الازمنة والامكنة ، للمرزوقي (٢/١٦٢ وما بعدها) ، اثار البلاد وأخبار العباد (ص ٧٣) ، مراصد الاطلاع (٣/١٢٧٥) ، البكري (٣/١٢٣٢) .

٣ الازمنة والامكنة (٢/١٦٣) .

فلئـــن بنيت لي المشقر في صعب تقصر دونـــه الهمم
لتنقبن عـــني المنيّـــة ان الله ليس كعلمه عـــلم[1]

وكان من الحصون التي تحمي قرى ساحل الخليج من الأعراب ، به حاميـــة كبيرة ، تغلق عليها الأبواب عند دنو الخطر . ويظهر من قصة فتك المكعبر بتميم، أنه كان ذا بابين ، وكان قد بني لحماية المنطقـة من الأعراب وللمحافظة عـــلى الأمن . وقد كان حصناً كبيراً ادخر فيه الفرس المير والأرزاق لتوزيعها عـــلى الأعراب أيام المجاعة . وبه جنود من الفرس ، يحكمهم قوّاد منهم ، يقـومون بضبط الأمن ومراقبة حركات الأعراب .

وتعقد سوق هجر في شهر ربيع الآخر ، وكان الذي يتولى تعشير التجار بها (المنذر بن ساوى) ، أحد بني عبدالله بن دارم . وهو ملك البحرين[2] . وهجر اسم لجميع أرض البحرين ، وقصبة بلاد البحرين . وقد عرفت بكثرة تمرهـا ، ومنه المثل كمبضع تمر الى هجر . وذكر أن (عمر) تذكرها فقـال : عجبت لتاجر هجر وراكب البحر ، كأنه أراد لكثرة وبائها ، فتاجرهـا وراكب البحر في الخطر سواء[3] . ويظهر أنها كانت موبوءة .

ثم يرتحلون نحو عمـــان من البحـرين أيضاً ، فتقوم سوقهم بها . ثم يرتحلون فينزلون (إرم) وقرى الشحر ، فتقوم أسواقهم بها أياماً . ثم يرتحلون فينزلون سوق عدن[4] .

أما (سوق‌عدن) ، فكانت تقوم أول يوم من شهر رمضان الى عشر يمضين منه . وكانت الأبناء هي التي تعشر التجار بها ، والأبناء هم أبناء الفرس الذين فتحوا اليمن مع وهرز وقتلوا الحبشة . وكان التجار لا يتخفرون فيها بأحد، لأنها أرض مملكة ، وأمرها محكم[5] . أما ما قبل حكم الأبناء . فقد كان يعشر هـــذه

---

١ وقال عنه « لبيد » :
وأفنى بنات الدهر أرباب ناعط بمستمع دون السمـــاء ومنظـر
وأنزلن بالدومي من رأس حصنه وانزلن بالاسباب رب المشقـر
تاج العروس (٣/ ٣١١) ، (شقر) .
٢ صبح الاعشى (١/ ٤١٠ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (٣/ ٦١٣ وما بعدها) ، (هجر) .
٤ صبح الاعشى (١/ ٤١١) .
٥ المحبر (ص ٢٦٦) .

السوق ملوك حمير ، ثم من ملك اليمن من بعدهم . وأشهر ما يباع فيها الطيب . ولم يكن أحد يحسن صنع الطيب من غير العرب ، حتى ان تجار البحر ترجع بالطيب المعمول تفخر به في السند والهند ، ويرحل به كذلك تجار البر الى فارس والروم[1] .

وأما سوق صنعاء ، فكانت تقوم في النصف من شهر رمضان الى آخره . وكانت الأبناء تعشرهم . وكان بيعهم بها الجس جس الأيدي[2] . وقد اشتهرت ببيع الخرز والأدم والبرود . وكانت تجلب اليها من معافر[3] . والقطن والكتّان والزعفران والأصباغ وأشباهها مما يتفق بها ، ويشترون بها ما يريدون من البر والحديد وحاصلات اليمن وما يأتي الى اليمن من تجارات البحار[4] .

وسوق ذي المجاز ، قريبة من عكاظ ، وتقوم أول يوم من ذي الحجة الى يوم التروية . ثم يصيرون الى منى[5] . وقد كانت لهذيل . وكانت مبايعة العرب بها بإلقاء الحجارة ، وذلك أنهم كانوا يجتمعون حول السلعة يساومون بها صاحبها ، فأيهم أراد شراءها ألقى حجراً ، وربما اتفق في السلعة الرهط ، فلا يجدون بداً من أن يشتركوا وهم كارهون . وربما ألقوا الحجارة جميعاً فيوكسون صاحب السلعة اذا تظاهروا عليه. وكانت قريش تخرج قاصدة اليها من مكة ، فإن اخذت على حزن لم تتخفر من القرب حتى ترجع ، وذلك أن مضر عامتهم لا تتعرض لتجار قريش ولا يتهجّمهم حليف لمضري مع تعظيمهم لقريش ومكانتهم في البيت[6] .

وأما سوق حُباشة ، فمن أسواق العرب المشهورة القديمة في الجاهلية في العربية الغربية . وهي سوق بتهامة ، يتاجر فيها أهل الحجاز . وأهل اليمن . وكان

---

١ الازمنة والامكنة (٢/١٦٥) ، اليعقوبي (١/٢٣٦) .

٢ المحبر (ص ٢٦٦) .

٣ صبح الاعشى (١/٤١٠ وما بعدها) .

٤ الازمنة والامكنة (٥/١٦٥) ، اليعقوبي (١/٢٣٦) .

٥ المحبر (ص ٢٦٧) .

٦ الازمنة والامكنة (٢/١٦١) .

في جملة من حضرها وتاجر فيهـا الرسول[1] . وكانت تقام في شهر رجب[2] . وحباشة سوق أخرى كانت لبني قينقاع[3] .

وكان الجلندي بن المستكبر ، هو الذي يعشر تجـار سوق صُحار بعمان ، وكذلك تجار سوق (دبا) . وكان يقصد سوق (دبا) تجار السند والهند والصين ومواضع أخرى ، فهي سوق عظيمة كبيرة ، ذات تجارة مـع العالم الخارجي . احدى فرضتي العرب . ويقوم سوقها آخر يوم من رجب . وكان بيعهم فيهـا المساومة . وتقوم سوق صُحار أول يوم من رجب . تقوم خمس ليال[4] . ويذكر بعض أهل الأخبار ان البيع في سوق صحار هو بالقاء الحجارة[5] .

وقد اشتهرت (صحار) بثيابها ، فعرفت باسمها ، كما كانت سوقاً للتجارات المستوردة من اليمن والصين والبحرين والهند . ولذلك كانت سوقاً نشطة ، وبها أصحاب حرف وصناعة[6] .

وأما (بدر) ، فكان موضعاً فيه ماء وفيه وقعت معركة بدر الكبرى . وكان موسماً من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سوق كل عام ، يجتمعون فيـه للتجارة وللتنزه ، فكانوا ينحرون ويطعمون ويشربون ويسمعون الغناء[7] . وذكر ان موضع (بدر) بئر حفرها رجل من غفار ، ثم من (بني النار) اسمه بدر . وذكر انه (بدر بن قريش بن مخلد)[8] ، وبه سمي الموضع بدراً ، وقيل بدر رجـل من (بني ضمرة) سكن المكان فنسب اليه[9] ، وهو بين مكة والمدينة أسفـل وادي الصفراء ، وهو الى المدينة أقرب ، وبينه وبين (الجار) ، وهو ساحل

---

١ بالضم والشين معجمة ، البلدان (٣/٢٠٦) ، شرح القاموس ، (٤/٢٩٣) . وقد كان هذا الموضع هو السبب الباعث لياقوت الحموي على تأليف كتاب معجم البلدان ، راجع مقدمة الجزء الاول من معجم البلدان .

٢ أخبار مكة ، للازرقي (١/١٩٤ وما بعدها) .

٣ تاج العروس (٦/٢٦٣) ، البلدان (٣/٢٠٦) .

٤ المحبر (ص ٢٦٥ وما بعدها) .

٥ اليعقوبي (١/٢٣٦) « النجف » ، الازمنة والامكنة (٢/١٦٣) .

٦ راجع دائرة المعارف الاسلامية مادة « صحار » .

٧ الطبري (٢/٢٧٩) ، البلدان (٢/٨٨) .

٨ الروض الانف (٢/٦١) .

٩ تاج العروس (٣/٣٤) ، (بدر) .

البحر ومرفأ ليلة[1]. ويظهر انه كان من المواضع المقدسة على شاكلة (سوق عكاظ) به أحجار ، يتقرب اليها الناس ، وبه ماء فصار سوقاً في موسمه المخصص له ، يقصده الناس من مكة ومن المواضع القريبة لبيع ما عندهم من ناتجهم فيه،ولشراء ما يحتاجون اليه منه .

وأما سوق بني قينقاع ، فسوق لليهود يذهب اليها الناس للاتجار وابتياع ما عند يهود من سلع ، ولبيع ما عندهم ليهود .

أما (سوق الشحر) شحر مهرة ، فتقوم السوق تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود . ولم تكن بها عشور ، لأنها ليست بأرض مملكة . وكانت التجار تتخفر فيها ببني محارب بن هرب ، من مهرة . وكان قيامها للنصف من شعبان . وكان بيعهم بها إلقاء الحجارة[2] . وكان غالب ما يعرض فيها الأدم والبُز وسائر المرافق. ويشترون بها الكندر ، والمرّ ، والصبر ، ويقصدها تجار من البرّ والبحر[3] .

وأما سوق الرابية بحضرموت ، فلم يكن يصل اليها أحد إلاّ بخفارة ، لأنها لم تكن أرض مملكة . وكان من عز فيهـا بزّ صاحبه . فكانت قريش تتخفر فيها ببني آكل المرار ، وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق بن وائل من كندة[4].

وتقوم سوق نطاة بخيبر وسوق حجر باليمامة يوم عاشوراء الى آخر المحرم[5] .

وأشهر الأسواق المتقدمة وأعرفها (سوق عكاظ) ، وهي سوق تجارة وسوق سياسة وسوق أدب ، فيها كان يخطب كل خطيب مصقع ، وفيها علقت القصائد السبع الشهيرة افتخاراً بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل على مـا يذكره بعض أهل الأخبار . وكان يأتيها قريش وهوازن وسليم والأحابيش وعقيل والمصطلق وطوائف من العرب . وكانت تقوم للنصف من ذي القعـدة الى آخر الشهر . ولم تكن فيها عشور ولا خفارة . وكان بيعهم السرار : إذا وجب البيع

---

١ تاج العروس (٣/٣٤) ، (بدر) .
٢ المحبر (ص ٢٦٦) .
٣ الازمنة والامكنة (٢/١٦٣) ، اليعقوبي (١/٢٢٦) ، تاج العروس (٦/٢٩٣) .
٤ المحبر (ص ٢٦٧) ، الازمنة والامكنة (٢/١٦٥) ، اليعقوبي (١/٢٣٦) .
٥ المحبر (ص ٢٦٨) .

وعند التاجر فيها إلف ممن يريد الشراء ولا يريده أشركه في الربح[1] .

وذكر ان عكاظ نخل في وادٍ بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقام سوق العرب . وقيل : عكاظ ماء ما بين نخلة والطائف الى بلد يقال له الفنق ، كانت موسماً من مواسم الجاهلية . تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً . وكانت تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون ، أي يتفاخرون ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ، يقيمون على ذلك شهراً ، يتبايعون ثم يتفرقون. فلما جاء الاسلام هدم ذلك[2] .

وذهب فريق من أهل الأخبار الى أن انعقاد سوق عكاظ إنما كان يقوم بهلال شهر ذي القعدة ويستمر لمدة عشرين يوماً[3] . وهم يخطئون رأي من يذهب الى أن انعقاد السوق كان في شهر شوّال ، وحجتهم أن انعقاد السوق كان في الأشهر الحرم ، ليراعي الناس حرمة تلك الأيام فلا يعتدون على من يقصد السوق ،وشهر شوال لا يدخل في جملة الأشهر الحرم ، لذلك فلا يمكن أن يكون انعقاد السوق فيه . ويستدلون بدليل آخر ، هو تقاتل بعض العرب في أيام عكاظ ، ونظراً لوقوع ذلك القتال في شهر حرام ، أطلقوا على تلك الأيام ، أيام الفجار ، وهي أربعة أيام : يوم شمطه ،ويوم العبلاء ، ويوم الحريرة ، ويوم شرب ، وهذه الأسماء هي أسماء أماكن في عكاظ . وما كان العرب ليطلقوا على تلك الأيام أيام الفجار لو لم تكن قد وقعت في أيام حرم[4] .

---

١ الحيوان ، للجاحظ (٢١٥/٧) ، البكري ، معجم (٩٥٩/٣ وما بعدها) ، المحبر (ص ٢٦٧) ، « وكانت تقوم هذه السوق في قول أول ذي القعدة الى عشرين منه ، ثم يتوجهون الى مكة فيقفون بعرفات ويقضون مناسك الحج ثم يرجعون الى أوطانهم . وفي قول اخر : انهم كانوا يقيمون به جميع شوال الى غير ذلك من الاقوال المختلفة . ولعل ذلك لاختلاف العادة في السنين ، أو لاختلاف القبائل في الاقامة في هذا الموسم . والذي عليه صاحب قبائل العرب ، أنهم كانوا يقيمون في هذه السوق من نصف ذي القعدة الى آخره ... » بلوغ الارب (٢٧٠/١) .

٢ تاج العروس (٢٥٤/٥) ، (عكظ) .

٣ مراصد الاطلاع (٩٥٣/٢) ، القاموس المحيط (٣٩٦/٢) ، أخبار مكة ، للازرقي (١٢٩) ، صبح الاعشى (٤١٠/١ وما بعدها) ، البلدان (٧٠٤/٣) ، الازمنة والامكنة (١٦٥/٢) ، اليعقوبي (٢٣٦/١) .

٤ أخبار مكة (١٣٢) ، الاغاني (١٧٦/٩) ، (٩/١٠) ، العقد الفريد (٣٧٧/٣) ، أخبار مكة (٦٦/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٣٥٨/١ وما بعدها) .

وجاء في بعض الأخبار ان أشراف العرب كانوا يتوافون بتلك الأسواق مع التجار من أجل ان الملوك كانوا يرضخون للأشراف ، لكل شريف بسهم من الأرباح . فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده ، إلا عكاظ ، فإنهم كانوا يتوافون بها من كل أوب[1] . فسوق عكاظ ، اذن سوق حرة ، لا عشور فيها ولا خفارة . وهي تختلف بذلك عن بقية الأسواق التي كان يعشرها الملوك ، اذا كانت في حكم (ملك) ، أو في حكم الأمراء وسادات القبائل ، على أن يؤدوا سهماً من الأرباح المتجمعة من العشور والخفارات الى أشراف العرب، أي سادات القبائل الذين تقام تلك الأسواق في أرضهم . فأشراف (تميم) وإن أشرفوا على هذه السوق ، وحكموا بها ، ونظموا أمورها ، إلا انهم لم يكونوا يجبون شيئاً من التجار . ولعل ذلك كان بتأثير قريش عليهم ، فقد كان رجال مكة هم المستأثرون الأثيرون في عكاظ . وكانوا يشجعون العرب على حضورها ، لما لهم فيها من منافع اقتصادية ، وقد كان لهم أنفسهم اشراف على نواح من أمور السوق . ويظهر انه لأجل تشجيع القبائل على حضور (عكاظ) وجمع أكثر مَن يمكن جمعه من التجار، اتفقوا مع سادات تميم ، ولا سيما مع (بني دارم) على أن يتركوا السوق حرة ، ليقصدها أي تاجر ، فلا يكلف أحد منهم بكلفة العشور والخفارة ، ولا يهان أو يعتدى عليه ، وهو بالطبع في شهر حرام ، ليضمنوا بذلك حضور أكبر عدد ممكن من الناس ، وليضمنوا مجيئهم بعد ذلك الى مكة ، وقد كانوا يسعون جهد طاقتهم لجلب العرب اليها من الأماكن البعيدة، ليستفيدوا منهم في موسم الحج ، وليكوّنوا معهم صلات طيبة ، وعلاقات وثيقة تؤمن لهم ولقوافلهم ولتجارتهم حق المرور بأمن وسلام ، وتقديم كل ما يحتاج اليه رجال القوافل من ماء وطعام ومأوى وحماية .

ويعرض للبيع وللشراء في سوق عكاظ وفي الأسواق الأخرى كل أنواع البضاعات ، من أدم ومن حبوب وأقمشة الى بضاعة حية ناطقة هي الحيوان ، أو الانسان ، حيث يعرض الرقيق في السوق . وقد كان شراء (خديجة) زوجة الرسول لـ (زيد بن حارثة) من سوق عكاظ[2] . وقد اشتهرت سوق عكاظ

---

١ المرزوقي ، الامكنة (٢/١٦٦) .

٢ المعارف (ص ١٤٤) .

بأديمها حتى عرف بين تجار الأديم بـ (الأديم العكاظي)[1] مع أنه لم يكن من حاصل عكاظ ، بل كان يورد الى السوق من مختلف الأنحاء .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (سوق عكاظ) موسم عظيم من المواسم، وقد اتخذت سوقاً بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وهي من أعظم أسواق العرب على الاطلاق في الجاهلية وفي الإسلام . ثم تضاءل شأنها وخربت بعد سنة (١٢٩) للهجرة ، عندما ظهر الخوارج الحرورية مع المختار بن عوف في مكة ، فنهبت هذه السوق ، وخاف الناس على أنفسهم من الذهاب اليها ، فتركت[2] .

ولو أخذنا بهذه الرواية ، نكون قد جعلنا مبدأ هذا السوق سنة (٥٨٥) أو (٥٨٦) للميلاد تقريباً . أي ان تأريخ سوق عكاظ لم يكن بعيد عهد عن الإسلام. فهو قبله بنحو ربع قرن . وقد أقيمت وعمر الرسول آنذاك (١٥) عاماً .

ويذهب الناس بعد سوق عكاظ الى سوق أخرى ، هي سوق مجنة ، فيقيمون بها عشرة أيام . فإذا رأوا هلال ذي الحجة في نهاية هذه الأيام العشرة قصدوا ذا المجاز ، وهي سوق جاهلية ، فيقيمون فيها ثمانية أيام يبيعون ويشترون ، ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز الى عرفة ، فيأخذون ذلك اليوم من الماء ما يروىهم من ذي المجاز . وقد سمي هذا اليوم باسم يوم التروية لتروىهم من الماء بذي المجاز ، حيث كان ينادي بعضهم على البعض الآخر أن يتروا من الماء لأنه لا يوجد ماء بعرفة . كذلك لا يوجد ماء بالمزدلفة يومئذ . ويعتبر يوم التروية نهاية أسواقهم . وكان العرب لا يتبايعون في يوم عرفة ولا في أيام منى . فلما جاء الإسلام أحل لهم ذلك[3] .

وذكر ان (ذا المجاز) موضع بمنى ، وذكر انه سوق كانت في الجاهلية على فرسخ من عرفة ، بناحية كبكب ، سمي به لأن إجازة الحج كانت فيه[4] . و (كبكب) . جبل بعرفات خلف ظهر الإمام اذا وقف ، وقيل هو ثنية[5] .

---

١ البلدان (٣/٧٠٤) ، تاج العروس (٥/٢٥٤) ، (عكظ) .
٢ الازرقي ، أخبار مكة (١٢٩ وما بعدها) ، البكري ، معجم (٣/٩٥٩ وما بعدها) ، اللسان (٧/٤٤٧) .
٣ أخبار مكة ، للازرقي (١٢٩ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٤/٢١) ، (جوز) .
٥ تاج العروس (١/٤٤٤) ، (كب) ، (ك/ب/ب) .

ويذكر علماء التفسير ان متجر الناس في الجاهلية كان سوق عكاظ وذو المجاز، فلما جاء الاسلام تركوا ذلك . وكانوا لا يتجرون في أيام الحج ، فكانوا لا يبيعون أو يبتاعون في الجاهلية بعرفة ، ويبتاعون ويبيعون قبل وبعد أيام الحج ، اذ كانوا يتأثمون من الاتجار في أيام الحج[1] .

وقد كان الحج من أكبر مواسم الربح لقريش،تبيع قريش ما عندها للأعراب القادمين اليها من البادية ولأهل القرى البعيدة عن مكة ، وتشتري منهم ما يحملونه معهم من مواد وسلع ، ثم تقوم قوافلهم بنقـــل الفائض مما اشترته الى الأسواق الخارجية في بلاد الشأم أو العراق ، وتشتري في مقابل ذلك ما يحتاج اليه الحجاز وأعراب البادية من سلع ومواد .

ومكة في مواسم الحج وفي المناسبات الأخرى سوق تجارية مهمة ، لا تقل شأناً في الواقع عن الأسواق الأخرى . وقد تمكن أهلها النشطون في جمع المـــال من اكتناز الأموال ومن استثمار ما يحصلون عليه من أرباح حتى صاروا من أغنى الناس في الحجاز .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ان حظ المفاخرة والمباهاة والتمـدح والذم ، لم يكن بأقل من حظ البيع والشراء في سوق عكاظ . فقد كان الشعراء يعرضون أجود وأحدث مـــا عندهم من شعر على الحاضرين[2] . وكان كثـــير من هؤلاء الحاضرين إنما يفدون اليها للوقوف على أحدث ما يقال من صنوف الشعر ، وهو صنف رائج أكثر من رواج النـــثر بالطبع ، لما فيه من ايقاع وموسيقى ووزن وسهولة في الحفظ وأثر في النفس ، لذلك كان للشاعر في هذه السوق مكانة تزيد كثيراً على مكانة التاجر فيهـــا ، لما لشعره من أثر في الحياة العامـة لمجتمع ذلك اليوم .

ويقال إن الشاعر الشهير (النابغة الذبياني) ، كان يحضر سوق عكـــاظ ، فتضرب له قبة من أدم ، يجلس تحتها ، فيفد اليه من الشعراء من يريد أن يفتخر

---

١ تفسير الطبري (٢/١٦٥ وما بعدها) .

٢ تاج العروس (٥/٢٥٤ وما بعدها) ، اللسان (٩/٤٤٧) ، « وقد كانت قبائل العرب تجتمع فيه كل سنة ، يتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون » ، البلدان (٦/٢٠٣) ، ابن خلدون ، المجلد الثاني (ص ٦٤٢) .

بشعره على غيره ، لينشد أمامه شعره ، فيحكم على شعره برأيه ، لما لرأيه من أثر في الناس . وكان الشاعران الأعشى وحسان بن ثابت ممن احتكما اليه وكذلك الشاعرة الخنساء [1] .

ومن حضر عكاظ الخطيب الجاهلي الشهير (قس بن ساعدة الايادي) (شيشرون) العرب ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، الشاعر المعروف [2] . ويذكر أهل الأخبار ان الرسول رأى (قس بن ساعدة الأيادي) يخطب في هذه السوق . وقد قصد الرسول سوق عكاظ وسوق مجنة وذي المجاز ، يدعو من كان يحضر المواسم الى دين الله . وقيل انه مكث سبع سنين يتبع الناس في مواسمهم في سوق عكاظ ، وكان فيمن كلمهم ودعاهم الى الاسلام (بنو عامر بن صعصعة) [3] .

وحال الأسواق الأخرى مثل حال سوق عكاظ من حيث ورود الشعراء اليها لعرض ما عندهم من شعر جديد . والظاهر ان قرب سوق عكاظ من مكة ، وورود الحجاج اليها قبل البدء بالحج ، ثم ورود اسمها في أخبار الرسول، ولكونها سوق مكة وتجار قريش ، ووقوعها في أرض يتكلم أهلها باللغة التي نزل بها الوحي ، هذه الأسباب وغيرها هي التي خلّدت اسم هذه السوق ، وربطت بينها وبين الشعر والنثر ، أكثر من الأسواق الأخرى التي كانت بعيدة عن مكة ، وبعيدة لذلك عن ذاكرة أهل الأخبار .

هذا وان للباحثين في موضع سوق عكاظ آراء متباينة فيه . ولا زالت هذه الآراء متباينة فيه حتى اليوم [4] .

هذا ، وقد كان موضع عكاظ في الأصل مكاناً مقدساً على ما يظهر من أخبار أهل الأخبار . فقد ذكروا أن العرب كانت تطوف بصخور كانت هناك ويحجون اليها ، وكانوا يذبحون وينحرون الى تلك الأصنام والأنصاب . حتى تلطخت تلك

---

١ الاغاني (١٥٦/٩) « مطبعة التقدم » ، شعراء النصرانية (٦٤٠/٥) .

٢ الاغاني (١٧٦/٩) .

٣ البكري (٢٥٩/٥ وما بعدها) ، ابن كثير ، البداية (١٤١/٣) .

٤ لسان العرب (٤٤٧/٧) ، معجم ، البكري (٣ـ٤/٩٦١) ، البلدان (٧٠٤/٣) ، القاموس ٢(/٣٩٦) ، تاج العروس (٢٥٥/٥) ، مراصد الاطلاع (٩٥٣/٢) ، شرح ديوان الحماسة (١٥١٤/٣ وما بعدها) .

الأنصاب والأرض التي تحيط بها بدماء البدن[1]. ويظهر أن أهمية ذلك المكان الدينية كانت قد قلّت بالتدريج ، إذ غطت قدسية مكة عليه . ولما جاء الإسلام، وأزال الأنصاب والأصنام ذهبت كل أهمية لمحجة عكاظ واختفت أهمية السوق معه حتى ماتت على نحو ما ذكرت .

ويتقدم سادات الناس في مثل هذه المناسبات الى آلهتهم باطعام الفقراء واضافة الناس . وكان (خويلد بن فضيل بن عمرو بن كلاب) المعروف بـ (الصعق)، لأن صاعقة نزلت عليه فأحرقته ، ممن يطعم بعكاظ . وكان من سادات قومه[2]. ويترك هذا الكرم أثراً في نفوس من يحضر السوق ، ويكون سبباً للحصول على ثناء ومديح الشعراء على أولئك الكرماء .

والظاهر من روايات أهل الأخبار عن هذه الأسواق ، انها كانت كلها في الأصل ، مواضع مقدسة ، لها أصنام تعبدها القبائل . وتأتي للتقرب اليها في مواسم معينة ، هي مواسم حجها ، فتتحول تلك المواسم الى أسواق للبيع والشراء. فقد ذكروا ان (بني وبرة) ، كانوا يفدون الى (دومة الجندل) للتقرب الى (ودّ) ، وكان سدنته من (بني الفرافصة بن كلب)[3] ، وأن (بني عبد القيس) كانوا يتقربون الى صنم لهم اسمه (ذو اللّب) ، وكان بالمشقر ، وسدنته (بنو عامر)[4] .

ويجب ألا ننظر الى هذه الأسواق نظرتنا الى السوق بالمعنى المفهوم من اللفظة في الوقت الحاضر . فقد كانت أسواق الجاهلية أوسع مجالاً من ذلك بكثير . كانت مجامع لأهل اللسان من شعراء ومن خطباء ، من مرموقين معروفين ومن مغمورين طلاب شهرة ، قصدوا هذه الأسواق للحصول على اسم وسمعة ، كما هو شأن سوق عكاظ . كما كانت مجتمعات تعقد فيها العقود والمعاهدات والاتفاقات القبلية والعائلية ، ومواضع يعلن فيها عن التبني وعن الخلع ، أي خلع الأفراد ،

---

١ البلدان (٦/٢٠٣) ، البكري (٣/٩٥٩ وما بعدها) .
٢ جمهرة ، ابن حزم (ص ٢٦٩) .
٣ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم (ص ٤٥٨) .
٤ جمهرة ، ابن حزم (ص ٤٦٠) .

لجرائم يرتكبونها ، وهي ساحات محاكم ، يجلس فيها المتخاصمون للاستماع الى قرار حاكم مهاب محترم ، اتفقوا على تحكيمه في نزاعهم . وقد كانت الحكومة في هذه السوق الى (بني تميم) ، وكان آخر من حكم منهم فيها : الأقرع بن حابس التميمي[1] .

ويروي أهل الأخبار أن فرسان العرب كانوا إذا حضروا موسم عكاظ تقنعوا إلا (أبا سليط) (طرفة بن تميم) ، فارس عمرو بن تميم في الجاهلية ، فإنه كان لا يتقنع ولا يبالي أن تقع عيون الفرسان عليه ، وذلك اعتماداً على نفسه وازدراءً لشأن أعدائه ومن يريد إلحاق الأذى به[2] . وقد كانت سوق عكاظ وبقية الأسواق ، من أهم المواضع التي تجلب أنظار الفرسان اليها ، إذ كان الكثير منهم يتصيدون فرص الأخذ بالثأر ، بعد انفضاض موسم السوق ، أو الحصول على غنائم بمهاجمة التجار ومن يحمل تجارة دسمة أو حمولة ثمينة ، ولهذا كان لا بد للفرسان ومن يريد الحصول على مغنم أو تنفيذ مأرب ما من التحفظ والاحتراز حذر انكشاف أمره ، فيكون عرضة للغدر .

وإذا وقعت في هذه الأسواق خصومات في مثل اختلاف في سعر أو اختلاف في تجارة ، فهناك حكّام يلجأ المتخاصمون اليهم للنظر في خصوماتهم وللنظر في كل خصومات أخرى قد تقع على الحاضرين . فيقوم هؤلاء الحكام بفض ذلك النزاع. وقد اشتهر سادات بني تميم بالنظر في الخصومات التي تقع في الأسواق القريبة منهم أو التي تقع في ديارهم ، وكان من أواخر حكامهم (الأقرع بن حابس)[3] .

سوق عكاظ في الاسلام :

كانت سوق عكاظ عامرة مقصودة في الجاهلية ، « فلما جاء الاسلام هدم

---

١ صبح الاعشى (١/ ٤١٠ وما بعدها) .

٢ الاشتقاق (ص ١٣١) ، اليعقوبي (١/ ٢٢٦) ، العقد الفريد (٢/ ٢٠٦) ، البيان والتبيين (٣/ ١٠٠) .

٣ صبح الاعشى (١/ ٤١٠) .

ذلك »[1] . وورد في كتب الحديث : « عن ابن عبـــاس ، رضي الله عنهما ، قال : كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز ، أسواقاً في الجاهلية ، فلـــما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها ، فأنزل الله : ليس عليكم جناح في مواسم الحج . قرأ ابن عباس كذا »[2] . وورد في تفسير الطبري : « قال ابن عباس : كانت ذو المجاز وعكـــاظ متجر الناس في الجاهلية ، فلما جاء الاسلام تركوا ذلك حتى نزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحـــج »[3] . وورد : « كانوا يحجـــون ولا يتجرون ، فأنزل الله : ليس عليـــكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم »[4] . وتفسير ذلك كما جاء في كتب التفسير والحديث ، وكما سبق أن تحدثت عن ذلك في الجزء الخاص بالحياة الدينية عند أهل الجاهلية ، ان الجاهليين كانوا يتأثمون من الاتجار في الحـــج ، فلا يحجون ولا يتجرون ، وتكون تجارتهم في الأسواق المذكورة قبل الحج ، أو في مكة بعد الحج ، وبقوا على ذلك حتى رفع عنهم الحرج بنزول الوحي : « ليس عليـــكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم »[5] ، فرخص لهم في المتجر والركوب والزاد ، وأحل الله لهم الاتجار في الحج[6] ، فصاروا يتبايعون بمكة ، فأثر ذلك على الأسواق المذكورة .

وكان تحديد مواقيت الحج ، وانتشار الاسلام ، ومنع التعرض والتحرش بالناس طيلة أيام السنة ، في جملة العوامل التي قللت من أهمية تلك الأسواق ، فلم يعد الحجاج في حاجة الى الذهاب قوافل اليها ، استغلالاً لحرمة الأشهر ، بل صاروا يتجهون الى المواقيت المعينة للحج رأساً ، فيتجرون بمكة ويعودون الى ديارهم ، فقلّت بذلك أهمية تلك الأسواق حتى ماتت .

وسبب آخر ، هو في نظري أهم من كلّ ما ذكرت . هو أن هجرة الرسول الى يثرب ، وانتصار الاسلام على مكة ، ثم وفاته بيثرب ، واتخاذ الخلفاء الثلاثة الأول إياها قاعـــدة لهم ولبيت مال المسلمين ، ثم خروج سادات مكة اليها في

---

١ تاج العروس (٥/٢٥٤) ، (عكظ) .
٢ ارشاد الساري (٤/٣٧) .
٣ تفسير الطبري (٢/١٦٤ ، ١٦٥) .
٤ تفسير الطبري (٢/١٦٤) .
٥ سورة البقرة ، رقم ٢ الآية ١٩٨ .
٦ تفسير الطبري (٢/١٦٤ وما بعدها) .

حيـــاة الرسول ، وانتقالهم الى الأمصار المفتوحة لادارتها سياسياً وعسكرياً ، أو للاشتغال بها بالزراعة والتجارة وبالأعمال الأخرى المربحة، كل هذه العوامل وأمثالها جعلت مكة في الدرجـــة الثانية بعد (يثرب) ، حتى أن من بقي بالمدينة من الصحابة ولم يغادرها كما غادرها غيرهم الى الأمصار المفتوحة ، وجـــدوا أن من أدب الصحبة ملازمة قبر الرسول ، والثوى بها في الحياة وفي الممات ، ولم يقيموا بمكة إلا فترات ، لحج أو لزيارة ، فأثر ذلك على وضعها المالي ، وأزال مكانها القديم في التجارة ، فتغير بذلك كل شيء .